

قضاء حاجة المسلم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عباد الله - حَقَّ التَّقْوَى، فَالتَّقْوَى فِي مَخَالَفَةِ الْهَوَى، وَالشَّقَاءِ فِي مَجَانِبَةِ الْهَدَى.

أيها المسلمون:

فاضل الله بين عباده في الشرف والجاه والعلم والعبادة، وسخر بعضهم لبعض ليتحقق الاستخلاف وتُعمَّر الأرض ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيْفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وفي شكوى الفقير ابتلاءً للغني، وفي انكسار الضعيف امتحاناً للقوي، وفي توجع المريض فتنة للصحيح، ومن أجل هذه السنة الكونية جاءت السنة الشرعية بالحث على التعاون بين الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي في تفريح كربهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم؛ تحقيقاً لدوام المودة وبقاء الألفة وإظهاراً للأخوة. والدين إنما هو ذلُّ العبادة وحسن المعاملة، قال ابن

القيم - رحمه الله - : «وقد دلَّ العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها، على أن التقرب إلى رب العالمين والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شرّ، فما استجلبت نِعَم الله واستُدْفعت نِقْمه بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه».

ونفع النَّاس والسَّعي في كشف كربهم من صفات الأنبياء والرُّسل، فالكريم يوسف عليه السلام مع ما فعله إخوته به جهزهم بجهازهم ولم يبخسهم شيئاً منه، وموسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من النَّاس يسقون ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، رفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وخديجة رضي الله عنها تقول في وصف نبينا محمّد صلى الله عليه وآله : «إنك لتصل الرِّحْم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»، وأشرف الخلق محمّد صلى الله عليه وآله إذا سئل حاجة لم يرد السائل عن حاجته، يقول جابر رضي الله عنه : «ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً قط فقال: لا» (متفق عليه)، والدنيا أقل من أن يرد طالبها، وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأراامل يسقي لهن الماء ليلاً، وكان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم، فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن.

إن خدمة النَّاس ومسايرة المستضعفين دليل على طيب المنبت ونقاء الأصل وصفاء القلب وحسن السَّريرة، وربُّنا يرحم من عباده الرُّحماء، والله أقوام يختصهم بالنعم لمنافع العباد، وجزاء التفريج تفريج كربات وكشف غموم في الآخرة، يقول النَّبي صلى الله عليه وآله : «من نفَّس عن مؤمن كُرْبَةً من كُرب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبَةً من كُرب يوم القيامة» (رواه مسلم)، وفي لفظ له «من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفِّس عن معسر أو يضع عنه»، السَّاعي لقضاء الحوائج موعود بالإعانة مؤيد بالتوفيق، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

في خدمة النَّاسِ بركة في الوقت والعمل، وتيسير ما تعسر من الأمور، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «من يَسَّرَ على مُعَسِّرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنْيَا والآخرة» (رواه مسلم).

نبلاء الإسلام وأعلام الأمة شأنهم قضاء الحوائج، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «كان شيخ الإسلام - رحمه الله - يسعى سعيًا شديدًا لقضاء حوائج المسلمين» بهذا جاء الدين، علمٌ وعملٌ، عبادةٌ ومعاملةٌ، ببذل المعروف والإحسان تحسُّن الخاتمة وتُصرف ميتة السُّوء، يقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «صنائع المعروف تقي مصارع السُّوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدُّنْيَا هم أهل المعروف في الآخرة» (رواه ابن حبان في صحيحه)، في بذل الجاه للضعفاء ومساندة ذوي العاهة والمسكنة نفعٌ في العاجل والآجل، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبرَ مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»، وَمَنْ للضعفاء والأرامل واليتامى بعد المولى؟ بدعوة صالحة منهم مستجابة تسعد أحوالك.

والدُّنْيَا محن، والحياة ابتلاء، فالقوي فيها قد يضعف، والغني ربَّما يُفلس، والحي فيها يموت، والسَّعيد من اغتنم جاهه في نفع المسلمين، يقول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «من مشى بحق أخ له ليقضيه، فله بكل خطوة صدقة»، والمعروف ذخيرة الأبد، والسَّعي في شؤون النَّاسِ زكاة أهل المروءات، ومن المصائب عند ذوي الهمم عدم قصد النَّاسِ لهم في قضاء حوائجهم، يقول حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما أصبحت وليس على بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب»، وأعظم من ذلك أنهم يرون أن صاحب الحاجة منعم ومتفضل على صاحب الجاه حينما أنزل حاجته به، يقول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ثلاثة لا أكافؤهم: رجل بداني بالسَّلَام، ورجل وسَّع لي في المجلس، ورجل اغبرَّت قدماه في المشي إليَّ إرادة التسليم عليَّ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله، قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله ثم رأني أهلاً لحاجته فأنزلها بي».

وعلى طالب الحاجة والشفاعة أن لا يطلب الحوائج إلا من أهلها، ولا يطلبها في غير حينها، ولا يطلب ما لا يستحق منها، فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان.

وليتخير من الكلام أطيبه، ومن القول أعذبه، ولا لوم على من رُدَّت شفاعته، ولو عظم قدر الشافع فقد رَدَّت امرأة شفاعة خير الخلق ﷺ حينما قال لها: «لو راجعته، قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه» (رواه مسلم).

وإذا قُضيت حاجة المرء فينبغي شكر الشافع والمشفوع عنده، يقول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (رواه أحمد)، ويقول: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» (رواه النسائي).

وإذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر، فخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر.

فاتَّقوا الله وأعينوا إخوانكم وتواصوا بالحق والعدل، وتعاونوا على البرِّ والتقوى، فلن يبقى للإنسان إلا عمله وذكره بالخيرات في الناس، والمرء حي بسجاياه، وإن كان موسداً مع أهل القبور في لحده.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

من أعظم ما يفسد المعروف المنّ به وذكره عند النَّاس، فالمنة تهدم الصنّاعة، ولا خير في المعروف إذا أُحصي، والمعروف لا يتم إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عَجَّله هتأه، وإذا صَغَّره عَظَّمه، وإذا ستره تَمَّمه، ومن محاذير الشَّفاعة: أن تشفع في أمر محرم، أو اقتطاع حقِّ امرئٍ مسلم، أو إلحاق الضرر به، أو تقديم مؤخر، أو تأخير مُقدِّم، والإسلام دين عدل يأمر بالمصلحة وينهى عن المفسدة، والشَّفاعة في الحدود من أعظم المنكرات.

وصلُّوا وسلِّموا على خير خلق الله محمداً بن عبد الله فقد أمركم الله بالصَّلَاة والسَّلَام عليه . . .